

في ذكرى الانتفاضة الفلسطينية

في ذكرى الانتفاضة الفلسطينية - ثورة الحجارة - 1987-1993



04 ديسمبر 2019 - 16:47

هشام عبد الرحمن

يستذكر شعبنا هذه الأيام بكل الإجلال والإكبار والتقدير والإعزاز الذكرى الثانية والثلاثين للانتفاضة الشعبية الكبرى التي انطلقت بتاريخ 9/12/1987، وسجلت تاريخاً جديداً للفلسطينيين وفتحت افقاً جديدة و دشنت مرحلة تاريخية مختلفة بعد أربعة عقود من النكبة والتطهير العرقي وبعد عقدين من الاستعمار الكولونيالي عام 1967 وبعد 22 عام على انطلاق الثورة الفلسطينية بقيادة حركة فتح. لقد شكّلت هذه الانتفاضة المجيدة حلقة مركزية في سلسلة النضال والكفاح الوطني الذي يقوده شعبنا على مدار أكثر من مائة عام وحتى الآن

انطلقت شرارة الانتفاضة الفلسطينية على أثر صدم شاحنة إسرائيلية عمداً لسيارتين فلسطينيتين كانتا تقلان عمالاً من مخيم جباليا في قطاع غزة. وأسفر الحادث عن مقتل أربعة فلسطينيين وجرح تسعة آخرين من ركاب السيارتين مما أثار سكان المخيم الذين خرجوا إلى الشوارع يرشقون جنود الاحتلال الإسرائيلي بالحجارة. وانتشرت التظاهرات المعادية للاحتلال في جميع أراضي قطاع غزة والضفة الغربية. وثم يحدث في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية - بأستثناء ثورة 1936* أن استقطبت جميع فئات الشعب الفلسطيني وتنظيماته، كما واستقطبتها الأحداث التي هزت الأراضي الفلسطينية المحتلة مدة ست سنوات (1987-1993) والتي أطلق عليها اسم الانتفاضة، أو انتفاضة الحجارة ضد الاحتلال الإسرائيلي. ودخلت كلمة انتفاضة قاموس لاروس الفرنسي والموسوعة البريطانية، بسبب الاهتمام العالمي بها.

لم تكن الانتفاضة الشعبية الكبرى في العام 1987 محض اشتباك سياسي واسع ومفتوح مع المحتلين الصهاينة، بل وكانت تتويجاً لمرحلة من البناء التنظيمي، الحزبي والشعبي، على نطاق واسع، كما شكّلت الانتفاضة حدثاً نوعياً جديداً بالنسبة للوطنيين الفلسطينيين، وحدّد الشعب الفلسطيني إلى حدٍ لم يسبق له مثيل أثناء النضال من أجل تحقيق الاستقلال الوطني، وشكلت تجلياً بارزاً للهوية الفلسطينية وشملت لأول مرة - الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة بكل طبقاته وفئاته وشرائحه .

كما ويمكن الإشارة إلى ان الانتفاضة ساهمت في بروز الهوية الفلسطينية، وتجلي ذلك من خلال المشاركة الشعبية الواسعة في التظاهرات التي اجتاحت المدن والقرى لتتخرط في المواجهات مع قوات الاحتلال الإسرائيلي، وتشكيل الهيئات واللجان الشعبية التي أدارت الأحداث الجارية والتي ألهمت وقادت الجماهير الفلسطينية لتؤكد على وحدة الشعب الفلسطيني ولتكون رافداً أساسياً لتعزيز القيم والوحدة الوطنية المساندة

هي انتفاضة شعب كامل، سلاحه حجارة بلاده، كانت شرارتها قد انطلقت من مخيم جباليا في غزة . ليأتي الرد الشعبي الفلسطيني شاملاً لكل مخيمات قطاع غزة والضفة الغربية والقدس في وحدة لم تتكرر في المشهد الفلسطيني من قبل .

وعلى الرغم من ممارسات جنود الاحتلال لسياسة تكسير العظام وإطلاق الرصاص على المتظاهرين واعتقال آلاف الشبان، إلا أن الانتفاضة استمرت ست سنوات، واستطاعت أن تفرض نفسها على (إسرائيل) التي عجزت عن القضاء عليها بثتى الطرق. وكذلك على الرأي العام العالمي الذي كان يراقب تصرفات جنود الاحتلال ضد المتظاهرين والسكان المدنيين، ومن شاشات التلفاز ووسائل الإعلام الأخرى.

إلا أن الانتفاضة الشعبية أوجدت حالة من الوعي الوطني في صفوف الفلسطينيين تحت الاحتلال وفي الخارج، ولدى الجماهير العربية بشكل لم يسبق له مثيل منذ سنوات طويلة. إذ دخلت الانتفاضة وجدان العرب، الذين التقوا حولها ودعموها. كما فضحت الانتفاضة الإرهاب* الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، وسلطت الأضواء على المطالب الفلسطينية الداعية إلى إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة. وحددت الانتفاضة مطالبها في البيانات التي كانت تصدرها القيادة الموحدة للانتفاضة: مثل إطلاق سراح المعتقلين، ورفض الاستيطان* وسياسة الإبعاد والاعتقال الإداري، ووقف الممارسات القمعية ضد السكان المدنيين وضد المعتقلين، وإلغاء سياسة المنع من السفر والمضايقات والتوقف عن نشر الرذيلة والفساد والوقوع في شبك المخابرات والمخدرات، ومنع جمع الضرائب الباهظة.

يمكننا القول أن الانتفاضة الشعبية قد تجسدت فيها جملة من القيم الاجتماعية، الوطنية والثورية، كنتاج لمعطين أساسيين أولها ما ترسخ في صفوف الجماهير من تربية وطنية وثورية في المرحلة السابقة، وخاصة الثمانينيات، تلاقت مع النضال الشعبي ضد المستعمرين، وثانيها كنتاج للفعل الانتفاضي. لقد تجسدت تلك القيم في الفعل الانتفاضي نفسه، وبالتالي لم تكن معزولة عنه بل هي حاضنة ورافعة للفعل ذاته، تؤثر فيه وتتأثر به.

اليوم، وبهذه المناسبة التي تأتي في ظروف تتعرض فيها قضية فلسطين لأكبر محاولات التصفية، وفي ظل حالة الانقسام التي تعصف بالهوية الوطنية وتهدد الأرض والشعب والنظام السياسي الفلسطيني ككل، وحالة العجز التي يتصف بها النظام السياسي الفلسطيني وحالة التآكل والعجز التي تمرّ بها منظمة التحرير الفلسطينية والفصائل عن القيام بمسؤولياتها التاريخية، وتعطل الحياة الديمقراطية ومؤسسات السلطة التشريعية وغيرها من المؤسسات النازمة للفعل السياسي الفلسطيني، كل ذلك يتطلب أن تكون قيادات الشعب الفلسطيني كلها على مستوى التحدي وأن تعمل جاهدة على إنهاء الانقسام وإعادة بناء الوحدة الوطنية عبر الانتخابات الحرة للمجلس التشريعي والرئاسة ولللمجلس الوطني الفلسطيني سعياً لحياء دور منظمة التحرير من جديد على قاعدة ميثاق وطني جامع وبرنامج سياسي يحفظ الحقوق الفلسطينية ل مجابهة المخاطر التي تهدد القضية الفلسطينية.

ولعل في تجربة انتفاضة الحجارة ما يكفي من الدروس والعبر والخبرة التي يمكن استلهامها، والبناء عليها في شروط سياسية وميدانية مختلفة، وفي ظروف دولية وقومية وإقليمية ووطنية مغايرة. كيف لا؟ وهي الانتفاضة التي عجز الاحتلال عن أدها في مهدها، وعجزت إجراءات القمع والبطش والتكثيف عن إخماد لهيبها الذي عمّ الشعب كله.